معرض القاهرة الدولي للكتاب ينهي دورته الثامنة والثلاثين:

مطالبات بإحالة أمر تنظيم المعرض إلى اتحاد الناشرين وتراجع ملحوظ في الندوات والحضور والكتب المباعة

القاهرة ـ «القدس العربي» ـ من محمود قرني:

انتهت رسميا في مساء السبت الرابع من شباط (فبراير) الجاري فعاليات الدورة الثامنة والثلاثين لمعرض القاهرة الدولي للكتاب، وذلك عبر نشاطات وفعاليات استمرت قرابة الأسبوعين وبمشاركة أكثر من عشرين دولة وأربعمئة ناشر من مختلف أقطار العالم، بالإضافة إلى أكثر من أربعمئة ندوة موزعة بين كافة مجالات الإبداع والمعرفة من تاريخ وفلسفة ومسرح وسينما ورواية وشعر، حتى الرياضة ونجوم الفن لم يخل منها المعرض، وهي وتيرة صاحبت فعاليات معرض القاهرة منذ انتقاله إلى أرض المعارض بمدينة نصر في منتصف الثمانينيات حيث كان يعقد قبلها في أرض المعارض بمنطقة الجزيرة التي أقيمت عليها دار الأوبرا المصرية القائمة حاليا.

وثمة إجماع من المثقفين المصريين على أن دورة المعرض المنقضية هي بامتياز أسوأ دوراته، حيث شهدت لأول مرة مشكلة ضخمة مع الناشرين واستهانة بوجودهم من قبل رئيس هيئة الكتاب الدكتور ناصر الأنصاري، وقد اعتبر اتحاد الناشرين المصريين والعرب أن تصريحات الأنصاري في مراسم الافتتاح بأن دور النشر وأماكن عرضها عبارة عن عشوائيات يجب حجبها ببعض الأعمال الفنية، اعتبرها الاتحاد تصريحات مهينة وطالبوا بإزالة الحواجز فورا وإلا انسحب الاتحاد وأقام معرضا موازيا، وقد انتهى الصراع برضوخ الأنصاري لمطالب الاتحادين.

على مستوى آخر شهد المعرض أكثر دوراته تقلصا من حيث عدد الحضور حيث على الجانب الآخر من المعرض بطولة كأس الأمم الأفريقية لكرة القدم وهي اللعبة التي تستقطب جمهورا واسعا في معرض الكتاب، بالإضافة إلى حلول المعرض متزامنا مع امتحانات نصف السنة وهو ما حجب أسرا بكاملها عن حضور المعرض وكذلك فإن مضاعفة سعر تذكرة الدخول أثر كثيرا على هذه الأسر التي تعتبر الزيارة نزهة رخيصة الكلفة.

أما فعاليات المعرض فقد شهدت الكثير منها إلغاء وتشوها لأسباب تتعلق بعدم وجود تجهيزات كافية من إنارة ومكبرات صوت كما حدث في الأيام الأولى من المعرض في مخيمي الرواية وعكاظ، كذلك تم إلغاء بعض الندوات لعدم حضور المتحدثين والجمهور معا.

وقد تعالت الأصوات أثناء الفعاليات بضرورة إعادة النظر في مواعيد المعرض وكذلك في شكل الفعاليات ومضامينها ووجودها الكمي.

من ناحية أخرى جاءت المشاركة الألمانية ـ ضيف الشرف ـ جريا على عادة معرض فرانكفورت الدولي، متواضعة إلى حد كبير، وربما السبب يعود إلى ضيق الوقت الذي تقرر فيه استضافة ضيف شرف للمعرض، فضلا عن المساحة المحدودة التي تم تخصيصها للجناح الألماني والتي لا تتجاوز ثلاثمئة متر داخل إحدى الصالات الكبرى.

وقد جاءت قضية التنوع الثقافي كإحدى القضايا الرئيسية للمعرض وهو الأمر الذي طرح مناقشة بنود اتفاقية حماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي التي أقرتها اليونسكو في تشرين الاول (أكتوبر) من العام الماضي. أيضا شهدت المحاور الرئيسية نقاشا مطولا لآثار العولمة على التعدد الثقافي، وهويات الشعوب في عالم القطب الواحد وانتشار ثقافة الصورة ونتائجها العسكرية، وترييف الحضر وآثاره الثقافية، ودور الحوار الثقافي في دعم التنوع، وثورة الاتصالات وآثارها على ثقافة الشباب والفضائيات العربية أمام دعم المعارض أو تشويهها، وحقوق الملكية الفكرية في المجالات الأدبية والفنية، وتداعيات هيمنة السوق على الخدمات والسلع الثقافية، وآثار تحرير التجارة على الأسواق الوطنية في مجالات السينما والإعلام المرئي.

في الوقت نفسه شهد الشعر انحسارا كبيرا في دورة هذا العام ولم يتوفر جمهوره على الشعراء الذين ارتبط بهم المعرض مثل محمود درويش وأدونيس وسعدي يوسف وغيرهم من الشعراء فقد اعتذر معظم من وصلت إليهم الدعوات بالحضور، ولم يلب الدعوة سوى اللبناني شوقي بزيع والفلسطيني سميح القاسم.

وسوف نحاول هنا رصدا سريعا لآخر الندوات اللافتة في الدورة المنقضية.

مشهد جانبي لمعرض القاهرة الدولي للكتاب الـ 38

هوية القطب الواحد والخطر الأمريكي

تحدث في هذه الندوة الكاتب والمحلل السياسي نبيل عبد الفتاح الذي بدأ حديثه عن تعدد الهويات كموضوع تم تناوله في العديد من الأدبيات المعاصرة بعد انتهاء الحرب الباردة بوصفها موضوعا ذا طابع زلزالي أثر على التوازن العالمي في القوى، كما ارتبط بتغيرات على الصعيد الثقافي والرمزي، من خلال هيمنة القطب الأمريكي على العلاقات الدولية وقيادتها للعولمة وتأثيرها على الهويات، مشيرا إلى تداخل هذه الموضوعات فيما بينها في الوقت الذي تتداخل فيه أيضا مع موضوعات الطوق للحريات والديمقراطية وتأصيل ثقافة حقوق الإنسان بصفة عامة كسلوك وفي مواجهة التحديات الخارجية التي تزعم الإصلاح السياسي الداخلي.

وأضاف عبد الفتاح أن موضوع الهيمنة يتداخل أيضا في الشأن الداخلي الخاص بالمعارضة ونظام الحكم، وعلى المستوى العربي فإن هناك ملفات شائكة مثل ملف القضية الفلسطينية والعراقية والسودانية.

وقد حذر عبد الفتاح هنا من إعادة تكرار مقولات سابقة للغرب في القضايا الأساسية، ولفت إلى أن مشكلة طرح الهويات تثار غالبا في فترات الهزائم مثلما أثير في أعقاب هزيمة 1967، وعلى ذلك فإن إشكالية الهوية عالميا برزت في عدد من الموضوعات الرئيسية عقب الحرب الباردة والأيديولوجيات الكبرى مما أدى إلى انسحاب المجموعات العرقية الكبرى واللغوية إلى الهويات المؤسسة لها في الماضي، ولكن ذلك لم يؤد إلى حدوث انشطار في هوياتها. ورصد عبد الفتاح حقيقة التزاوج الحادث في عالم الصورة والمعلومة كنتاج لتكنولوجيا المعلومات حيث أظهر ـ في المقابل ـ حالات تشظ داخل مجتمعات عديدة حولتها من حالة الحداثة لمجتمع ما بعد الحداثة عرفيا وثقافيا وأخلاقيا، وهو ما أحدث شروخا واضحة في الهويات، ومع أحداث الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) حدثت تحولات كبرى في الموقف من الإسلام ومن الهويات الأخرى. وقد اندفعت الولايات المتحدة كقوة مهيمنة إلى تبني عقيدة دفاعية جديدة نحو النزعة الوقائية وإعادة صياغة العالم مجددا عبر فرض قيم موحدة للأسواق فيما سمي بظاهرة العولمة.

وأضاف نبيل عبد الفتاح أنه لا يتفق مع النقد الموجه ضد المجتمع ما بعد الحداثي بما يلغيه من حدود الدول وفقدها سيطرتها على حدودها لأن هذا الإلغاء أدى إلى انتشار قيم إنسانية مشتركة كالصدق والاحترام وهو ما انعكس على الهويات، مشيرا إلى أن الاتجاه الذي يسير فيه عالم اليوم لن يؤدي لقمع الهويات لأن العولمة وسيطرة الرأسمالية لن تؤديا لتآكل الهويات بدليل أن الإنترنت ساهم وساعد الدول الصغرى في إبرازه والدفاع عن هويتها.

ترييف الحضر وآثاره الثقافية

في هذه الندوة التي انعقدت في المقهى الثقافي تحدث الدكتور محمد عودة ومحمد السيد سعيد ومحمد حسين الشافعي، وأدار الندوة أستاذ علم الاجتماع الدكتور عبد الباسط عبد المعطي الذي بدأ قوله إن بعض الظواهر الثقافية التي باتت لافتة في المجتمع المصري هي ظاهرة ترييف الحضر، وأوضح أن هناك بعض الفروق التاريخية بين ثقافة الريف التي تحكمها الأعراف السائدة والالتزام الجماعي وتعكس تفاعلات الناس أما ثقافة المدينة فهي ثقافة متباينة تحتكم إلى حد كبير إلى التفكير العلمي وهناك جماعات ثقافية كثيرة مرتبطة بالتنوع في النشاط الاقتصادي.

أما الدكتور محمود عودة فقال إن هناك حكما قيميا على الثقافة الريفية حينما نقول ترييف المدينة ونعترف بهذا أن هناك مشكلة حين تنتقل ثقافة الريف إلى المدينة باعتبار أن التميز بين الريف والمدينة هو منطق نظري أمريكي عرف في دراسات ما يعرف بعلم الاجتماع الريفي هناك، وأكد عودة على ان مدخل الفروق الحضرية عن القرية ينبغي أن يرتكز على اسس مختلفة ابرزها فكرة أسلوب الإنتاج والبعد الطبقي، ففي الخمسينيات أشار باحث هندي إلى أن علم الاجتماع في الهند لا يمكن تقسيمه إلى علم اجتماع ريفي وآخر حضري، والتحليل الطبقي في مجتمعاتنا يقول إن الفروق بين الطبقات الاجتماعية على الصعيد الثقافي تجاوزت فكرة الفروق الحضرية، فالقادرون في مجتمع القرية يشاركون القادرين في مجتمع المدينة، في نفس الخصائص الثقافية وأيضا المعدمون يشتركون في سمات وخصائص كثيرة، وأشار عودة إلى أن هناك مرحلتين من مراحل تطور المدينة والقرية في العالم الثالث بصفة عامة، وفي مصر بصفة خاصة، فقبل حركات التحرر قبل ثورة يوليو كانت المدن هي المكان الذي تعيش فيه النخب السياسية والاقتصادية إلى جانب فئات محددة من العمال والحرفيين لخدمة النخب الموجودة، ولأهداف سياسية وأيديولوجية ونتيجة لذلك الانحياز التنموي للحضريات أصبح هناك تفاوت ضمني في فرص العمل وبالتالي في فرص الخدمات ترتب عليه هجرة واسعة من القطاعات الريفية إلى الحضرية بدأت منذ التسعينيات وحين كان يأتي الفلاح للقاهرة بأنماط ليست بعيدة عن الواقع الاجتماعي والثقافي العام.

أما الدكتور محمد السيد سعيد فقد ربط بين ظاهرة الاستبداد التي نشأت عن الانقلابات العسكرية في الفكر العربي الحديث ومحنة الشمولية التي تنتسب إلى نخب سياسية لها أصول ريفية، وضرب مثلا على ذلك بالنخبة العسكرية في سوريا التي أسست لنظام شمولي وهي نخبة جاءت من قرية القرداحة السورية التي تنتسب إلى القرى العلوية، التي كانت معزولة لمدة طويلة، هذه النخبة ليس لها ثقافة خاصة إلا من خلال نشرات حزب البعث السوري، وقد أغرق هؤلاء المجتمع السوري في حالة شمولية صادرت النقاش العام، وأعادت المجتمع إلى منظور ضيق هو منظور قرية غارقة في تراث الماضي، ونفس النخبة كانت في العراق حيث جاءت من مدينة تكريت التي تتميز بخشونة في رؤية العالم ونفس الحال حدث في مصر. وذكر السعيد بعض الوقائع بالنسبة لمصر مثل ظاهرة التصويت الأعلى في الريف دون المدن، وقال معلقا إنه من الناحية السيولوجية نجد أن نمط الاستيطان البشري يبدو غالبيته من سكان القاهرة، وهو نمط عشوائي يصل في هذه المدينة إلى 1135 عشوائية وإن سكان القاهرة يعيشون في مستوطنات في شوارع لا تزيد على المترين.

كلمة ختامية

يبدو الاقتراح الذي تقدم به اتحاد الناشرين ـ ليس للمرة الأولى ـ بالنهوض بتنظيم معرض القاهرة الدولي للكتاب، فقد أثبتت السنوات العشر الماضية على الأقل، الفشل الذريع الذي يسير إليه المعرض عاما تلو آخر، في الوقت الذي تشهد فيه عملية النشر فوضى عارمة، وتراجعت صناعة الكتاب في دور النشر الرسمية، إلى أسوأ معدلاتها وصورها، بات الوضع البيروقراطي الذي ارتكنت إليه هيئة الكتاب التي تنظم المعرض لا فكاك منه بعد أن تمركز على قلبها عدد من صغار الموظفين المعادين للثقافة، الذين يمتهنون كل صاحب موهبة وكل صاحب فكر، ولا يعنيهم من أمر المعرض سوى الصورة الكرنفالية التي تقدم الدولة باعتبارها راعية للثقافة وهي من هذا براء. إن الجهة التي يليق بها تنظيم فعاليات المعرض هو اتحاد الناشرين، شرط أن يكون عرس الكتاب مخصصا لندوات حول صناعة الكتاب وتطويره مع عدد شديد المحدودية من الندوات الفكرية والشعرية، فقد أثبتت التجارب أن الكم الهائل الذي يتم حشده من الندوات أفسد القلة القليلة من الندوات المهمة.

إصدارات جديدة

مجلة «عمان»: حوار مع عبد الرحمن الربيعي

عمان ـ «القدس العربي»:

صدر العدد 127 من مجلة «عمان» الثقافية الشهرية عن أمانة عمان الكبرى، وقد اشتمل العدد الجديد على مجموعة من المواد الإبداعية والفنية، والحوارات، والمقالات والترجمات، وكتب رئيس التحرير عبد الله حمدان مقالا افتتاحيا بعنوان: «عندما يكون الإنتاج الثقافي فائضا عن الحاجة»، وأجرى كمال الرياحي من تونس حوارا شاملا مع الروائي العراقي المقيم هناك عبد الرحمن مجيد الربيعي، أما د. فاتن عبدالجبار من العراق فقد تناولت موضوع الناقد المعلم د. إحسان عباس: هوية المنهج ومنهج الهوية، وفي الزاوية الشهرية للباحث الأردني د. صلاح جرار كتب عن «العرب وثقافة اغتيال الذات»، أما الجيلالي كورات الناقد والأكاديمي المغربي فقد تناول «الشعرية والتواصل البصري»، وكتب القاص الأردني مفلح العدوان في زاويته نقوش عن «حوار أتباع الدين الواحد»، وقدم الناقد السوري د. جهاد عطا نعيسة «تناسج الواقع والمجاز في البنية الترددية في رواية لو لم يكن اسمها فاطمة لخيري الذهبي»، وكتبت الروائية الأردنية ليلى الأطرش في زاويتها مجرد سؤال عن «السيرة والطفولة»، أما د. إبراهيم خليل الناقد والأكاديمي الأردني فقد درس «أمين شنار من الرومانتيكية في البواكير إلى البحث عن أسلوب»، وقدم الناقد والأكاديمي التونسي د. محمود طرشونة قراءة نقدية في رواية «التاج والخنجر والجسد» لصلاح الدين بوجاه ،أما الكاريكاتير المصري محمد عفت فقد ساهم برسم ساخر ينقد أحوال المثقفين ،وقدم الكاتب السوري عبداللطيف الأرناؤوط قراءة في «ديوان أتباعد عنكم فأسافر فيكم» لمحمد أبو دومة ،وفي زاوية مساحة للتأمل قدم نادرالرنتيسي مقالا بعنوان «الحرام البين»، وترجم الشاعر الأردني مروان حمدان مقالا عن الناقد الكندي هيوكنز، وكتب الروائي الأردني محمد سناجلة مقالا عن الرواية الرقمية، أما في جزء الإبداع فقد ساهم الشاعر التونسي حافظ محفوظ بقصيدة «سأقود الأسماك إلى الصحراء» وأهداها إلى أدونيس، وكانت هناك قصائد للشاعر التونسي محمد الخالدي، وقصيدة «لو أقرأ التفاح» لخالد أبو حمدية، و«طفولة» للشاعر العراقي مقداد رحيم، وقصيدة «حرف آخر للماء» للشاعر أحمد الخطيب، وتناول الناقد التونسي مصطفى الكيلاني «الذئب في العبارة ليوسف رزوقة: تجريب الكتابة»، أما الروائي الجزائري الحبيب السائح فقد قدم دراسة نقدية في جزئها الأول عن رواية ليلى الأطرش «مرافئ الوهم: بين رحلة السراب وكلمات الضياع»، كتب سعد الدين خضر من العراق عن «صنعة الرواية في ركام الزمن.. ركام امرأة» لأنيسة عبود، أما فيلم الشهر الألماني «السقوط: رصد للحظات الأخيرة من حياة هتلر» فقد عرضه الكاتب الأردني يحيى القيسي، وهناك مساهمة للناقد المغربي محمد خرماش بعنوان «أقباس المثاقفة النقدية عند مدرسة الديوان». وفي حصاد عمان التشكيلي نقرأ عرضا لمحمود منير ،وعرضا آخر للإصدارات الجديدة يقدمها د. أحمد النعيمي ، واختتم الشاعر غازي الذيبة العدد بمقال عن «الرقمية والكتابة».

«يا نا علي» رواية جديدة للكاتب الليبي محمد الأصفر

طرابلس ـ «القدس العربي»:

صدرت عن دار ليبيا للنشر لصاحبها الناقد الليبي ادريس المسماري رواية جديدة للروائي الليبي محمد الأصفر بعنوان «يا نا علي» وجملة (يا نا علي) جملة شعبية ليبية تقال وقت اللذة ووقت الألم ووقت التعجب والحسرة أيضا.

الرواية تتحدث عن عدة فضاءات ليبية وعالمية ومن الشخصيات الحاضرة في الرواية بقوة شخصية الشاعر الشعبي الليبي من اصل يهودي كليمنتي اربيب الملقب بأبي حليقة، وأيضا شخصية كوندليزا رايس التي اعتبرها الكاتب من الصحراء الليبية ومن منطقة فزان بالذات.. أيضا تناولت الرواية عدة شخصيات عالمية مثل أنور باشا القائد التركي الذي قاد المجاهدين الليبيين ضد الغزو الايطالي ورئيس أركانه مصطفى كمال اتاتورك مؤسس الدولة التركية الحديثة.. يغلب على الرواية الجو الشعبي وفي نفس الوقت تخللتها بعض القصائد وتحدثت عن عدة حقب زمنية منذ بداية القرن العشرين وحتى الألفية الجديدة وتناولت ايضا الحرب العالمية الثانية التي دارت بعض رحاها على الارض الليبية.. وفي نفس الوقت عاد بنا الروائي الى عصر الاسرة القرمانلية أيام يوسف باشا في العصر العثماني الثاني ليصور لنا الصراع الليبي الامريكي البحري واسر السفينة فيلادلفيا وبحارتها جميعهم.. ولم ينس ايضا ان يعرج بنا على عدة حكايات شعبية واكبت المرحلة مثل ملحمة تجريدة حبيب وغيرها.. رواية كروايات الاصفر السابقة مفتوحة لا تتقيد بأي نظريات نقدية.. مملوءة بالمتعة والحب والشعر والغناء وبها ايضا مسرحية وبها قصيدة من الشعر المحكي للشاعر الليبي الكبير الصيد الرقيعي هذا قليل منها:

بين الكفوف الحمرا ...
ضايعْ عبير اهدابي ...
وعرقْ الوجوه السمرا...
معابر ... صهيل ابوابي ...
شوك المطر والليلْ...
ف قبضة الحلم الخاوي ...
ظفرْ الشمع مضمارْ...
وين المرايا تسرحْ ... ما فيه شيْ قريبْ ...
ولا فيهْ شيْ غريبْ ... حتى النوارس تجرحْ...

سعاد الصباح والورود الغاضبة

بيروت ـ من جورج جحا:

مجموعة الشاعرة العربية الدكتورة سعاد الصباح الاخيرة تتسم بتداخل موفق بين فنين جميلين توأمين هما الشعر والرسم وقد تجعل القارىء الذي يلقي نظرة سريعة على غلافها والرسوم الداخلية يتوهم ان اسم المجموعة يجب ان يكون «ديوان الورد».. فالرسوم والالوان تخلق متعة بصرية ونفسية. الا ان القاريء عندما يشرع في قراءة القصائد التي تشكل اضافة الى سائر نتاج الشاعرة العربية وامتدادا لاسلوبها الشعري وحفاظا على حمل لواء القضايا التي شغلتها دائما.. يدرك ان العنوان الذي اعطي للمجموعة اي «والورود.. تعرف الغضب» هو الاقوى تعبيرا عن محتوى الكتاب. فالشاعرة حملت دائما قضية المرأة العربية وصورت كيف يمكن للوردة او للغزال اللطيف كما ورد في شعرها سابقا –وهو رمز يمثل الضحية في الاذهان ـ ان يتحول الى غاضب وثائر يشهر الكلمة الجميلة سيفا من نار ونور. وتراوح الدكتورة الصباح في هذه المجموعة كما في معظم شعرها السابق بين القصيدة المتعددة الاوزان والقوافي وقصيدة النثر التي تحمل وقعها الموسيقي الخاص. وكما في كثير من سائر نتاج الشاعرة تأتي قضية الحرية وحقوق الانسان عامة والمرأة العربية بشكل خاص في اشكال فنية تتسم في ما تتسم به بمخزون ثقافي عميق وبامتلاء النفس بمصطلحات العصر والاشارات الى مشاغله الفكرية والانسانية واليومية. انها دائما تعبر عن حياتنا الحاضرة بهمومها ومشكلاتها والامها وبأحلامها في شكل خاص. الكتاب الصقيل الانيق يبدو اقرب الى «هدية فنية».. فضلا عن امتلائه بفيض شعري اخاذ. انه حافل بلوحات فنية مبهجة هي رسوم بريشة الشاعرة الصباح. وقد اشتمل على 24 قصيدة في 238 صفحة. الاخراج الفني هو لمحمد حمادة ونقل الرسوم جاء بعدسة الفنان اجوب كلندجيان. وقد صدرت المجموعة عن «دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع».S ومن يتصور ان ما يسمى «شعر المرأة» يجب ان يكون حافلا بنقمة على الرجل كما ألفنا في كثير من الاعمال الادبية.. فسيجد ان الشاعرة غير ذلك فهي تحتفل بالانسان.. الانسان الكبير قلبا وعقلا والنبيل المتفهم للحياة وللمرأة والانسان عامة بقدر ما تحمل على ارجل الجاهل المستبد وتدافع عن المرأة المستضعفة. اما الصورة المثلى للرجل والمؤثرة في النفس فهي تلك التي تخصصها لزوجها الراحل الشيخ عبد الله المبارك. القاء نظرة على بعض عناوين القصائد يشير الى ان الشاعرة ترى ان قضية المرأة بسلبها وايجابها هي بعض من قضية الرجل اي انها قضية الانسان عامة. من هذه العناوين «اعرف رجلا» و«زوجي المعلم.. وأنا التلميذة» و«الى رجل ثرثار» و«رجل الكبريت والنار» و«رجل لا يحسب» و«الرجل المستعمر» و«رجل التاريخ» و«الرجل الصامت» و«الرجل البحار» والرجل القلق» و«رجل لا يأتي» و«الرجل العاصفة» و«رجل في داخل المراة». ومن العناوين الاخرى «بيروت..ادمان شعري» و«يحيى الفلسطيني» و«اسئلة ديمقراطية في زمن غير ديمقراطي» وغيرها. واذا كانت الرسالة تقرأ من عنوانها.. فالكتاب يمكن ان نقرأه من عنوانه وأيضا من المقدمة التي توضع له. والمقدمة تكمل العنوان هنا اذ تقول الشاعرة وبخط يدها «انا امرأة من فضاء بعيد/ ونجم بعيد/ فلا بالوعود ألين../ ولا بالوعيد.». ثم مقدمة اخرى في شكل قصيدة صغيرة وفيها تقول «بدوية انا اختزن في ذاكرتي/ عصورا من القهر../ ويختبىء تحت جلدي ملايين الشموس». وفي ثالثة تقول «أنا النخلة العربية الاصول/ والمرأة الرافضة لانصاف الحلول/ فبارك ثورتي». (رويترز)

قـــص

مقاومة بيضاء

جمال ناجي*

■ بشكل عام، هو لا يحب الاعراس . وبشكل خاص، لا يطيق مناسبات أقارب زوجته، فهم يستقبلونها بالقبل غير الصامتة، تلك التي يصدر عنها صوت يجمع الحرفين (م) و(ت) على التوالي، مع التشديد على الميم التي تفقد اتزانها أحيانا، بسبب تعرق الشفاه والخدود عند التصاقها الكريه ببعضها، أما هو فيكتفون بمصافحاتهم الفاترة له، كأنما هو مجرد سائق أو مرافق لها.

ذلك العرس الذي وصلته بطاقة الدعوة اليه لم يرق له كعادته، أحسه ثقيلا حينما تسلم المغلف من أحد أقارب زوجته، حتى انه لم يكلف نفسه عناء القول له، وهو واقف خارج الباب: تفضل!

لم يقل له أيضا، تلك الكلمة التقليدية التي تنطلق بآلية من أفواه الناس في مثل تلك الحالات: مبروك.

كل ما فعله أنه قال وهو يقلب المغلف بين يديه بامتعاض: شكرا.

ثم أغلق الباب دونه.

قرر عدم الذهاب حتى لو كلفه الامر حياته ذاتها.

اخفى البطاقة عن زوجته، أصر على الادعاء بان احدا لم يطرق باب بيته، وطالما لم تصله البطاقة، فهذا يعني انه وهي ليسا مدعوين، هذا ما قرر قوله لها عندما تحين لحظة التملص أو الثورة.

هي تعرف منذ ايام، أن حفل الزفاف سيقام مساء اليوم، في الساعة الثامنة على وجه التحديد، لكنها لم تسل عن مكان الحفل، رغم حرصها الشديد على المشاركة في مناسبات اقربائها.

ما يغيظه ان حرصها هذا، يقترن دائما بإصرارها على اصطحابه معها دون الالتفات الى مقاومته العاتية:

تحتاج المسألة الى ثورة، تمرد، عصيان، لا فرق، فالمهم هو رفض الامر قبل ان يصبح واقعا.

سبق ان اتخذ قرارات مشابهة بالعصيان، لكنه لم يقو على تنفيذها.

سألته ما إذا تسلم بطاقة الدعوة، فكذب:

ـ لا.

ثم أضاف مدعيا الحكمة:

ـ الضيف غير المدعو لا يجد مكانا يجلس فيه.

تبرمت:

ـ لكنهم اخبروني ان البطاقة وصلتنا؟

هز رأسه بتنصل:

ـ تعرفين فوضى الاعراس، ربما نسوا.

ازدادت تبرما، ابتسم، فاتخذت قسمات وجهه ملامح التواطؤ والتآمر، وتلك كانت غلطته الكبرى، فزوجته لماحة، وقادرة على التقاط اسباب ابتسامته.

نظرت في وجهه بعينين مشككتين، قالت: اليوم هو الثلاثاء، والوقت يمضي بسرعة، متأكد انك لم تستلم البطاقة؟

كذب:

ـ متأكد.

تلبثت قليلا، رفعت سماعة الهاتف كي تسأل عن الدعوة، وموعد الحفل ومكانه، لكنها لم تسمع سوى رنين متقطع .

أحس بالانتصار.

حاولت مرة أخرى لكن دون جدوى، قالت:

ـ ذهبوا الى الصالة كلهم، أكيد.

أدارت عينيها ثم صوبتهما نحوه، تماسك قليلا، لكنه استشعر الخطورة عندما بدأت شوط تحقيقها معه لانتزاع الحقيقة.

حين اعترف بفعلته، كانت الشمس غطست وراء الأفق .

وبخته فتوجه نحو احدى الغرف لاحضار المغلف من مخبئه، تأخر قليلا ،عبث بالمغلف والبطاقة، سمع نداءها الغاضب المغيظ، وحين عاد اليها قالت له بنبرة انتصار :

ـ متى ستتعلم الصدق ؟

فأجاب :

ـ لم يبق وقت للتعلم .

هزت رأسها باستخفاف :

سأبدل ملابسي بسرعة، وأنت، إبدأ تجهيز نفسك، سأحضر لك بدلة مناسبة.

ثم خطت نحو خزانة الملابس قائلة، كأنما لم تنتبه الى تقرحات مزاجه :

سأختار لك بدلة تناسبك.

ما زاده غيظا انها تحدثت بثقة ونبرات هادئة أقرب الى تلك التي تستخدمها الأم لمعالجة حرد ابنها.

تقدمت منه حاملة بيدها اليسرى بدلة رمادية، بينما امسكت باليمنى شعر رأسه وفركته بحركة سريعة محببة، ثم عرضت البدلة امام عينيه ببراعة بائعات الازياء:

ـ جميلة، اليس كذلك؟

فاجاب مستجمعا ذكاءه وشجاعته وخبثه:

ـ أولا أنا متنكد اليوم وأشعر بأن الأمور لن تسير على ما يرام، اعتقد أن النكد جزء من حقوقي كبقية الخلق، ثانيا، هذه البدلة اصبحت ضيقة ولم تعد مناسبة لي.

فردت بسرعة:

ـ سأختار لك غيرها.

واستدارت نحو الخزانة، فأحس بأنه ارتكب خطأ جديدا في معركته معها، لأن مجرد الحديث عن البدلة المناسبة يعني تنازلا من نوع ما، أو تحويل المسألة الى محض خلاف على البدلة المناسبة، بدليل ان زوجته تمسكت بهذا الشق من حديثه وتجاهلت ما قبله، ثم أحضرت بدلة زرقاء لا يحب ارتداءها أبدا، لذا عاجلها كأنما ليثأر لنفسه:

ـ هذه البدلة بالذات لا احب رؤيتها، وأنت تعرفين ذلك.

نظرت اليه بعينين توحيان باكتشاف مؤامرة، قالت بخبث:

ـ لم أجد في الخزانة غير هاتين البدلتين، أين البقية؟

فرد بجسارة طارئة:

ـ أرسلتها الى المصبغة.

فألقت ما بيدها على المقعد وجلست قبالته قائلة بحسم:

ـ إذن اختر بين هذه البدلة او تلك، الوقت يمر بسرعة.

وبدأت تنقر بسبابتها على حافة الكرسي بشكل متكرر يثير الحنق.

توصل دون جهد الى انها لا تريد حصره بين خياري البدلة الزرقاء او الرمادية، إنما بين خياري مرافقتها الى الحفل، بما يعنيه ذلك من رضا ونعيم ووعود يفهمها، أو الرفض واحتمال النتائج التي يفهمها أيضا.

صمت، فقالت له بحزم:

إقرأ لي اين مكان الحفل؟

ناولها المغلف:

ـ إقرئي أنت بنفسك.

ثم جلس على المقعد، فبادرته بصوتها الحاد:

ـ بدل ان تجلس جهز نفسك، الوقت يمر.

قال بثقة:

ـ دائما تتحدثين عن مرور الوقت، مع انني لم أره يمر من أمامي ولو مرة واحدة.

فضت المغلف على عجل، أخرجت البطاقة، فاعتلت وجهها ملامح انكسار:

كانت البطاقة بيضاء خالية من الكتابة .

– – – – – – – – – – – –

* كاتب من الأردن